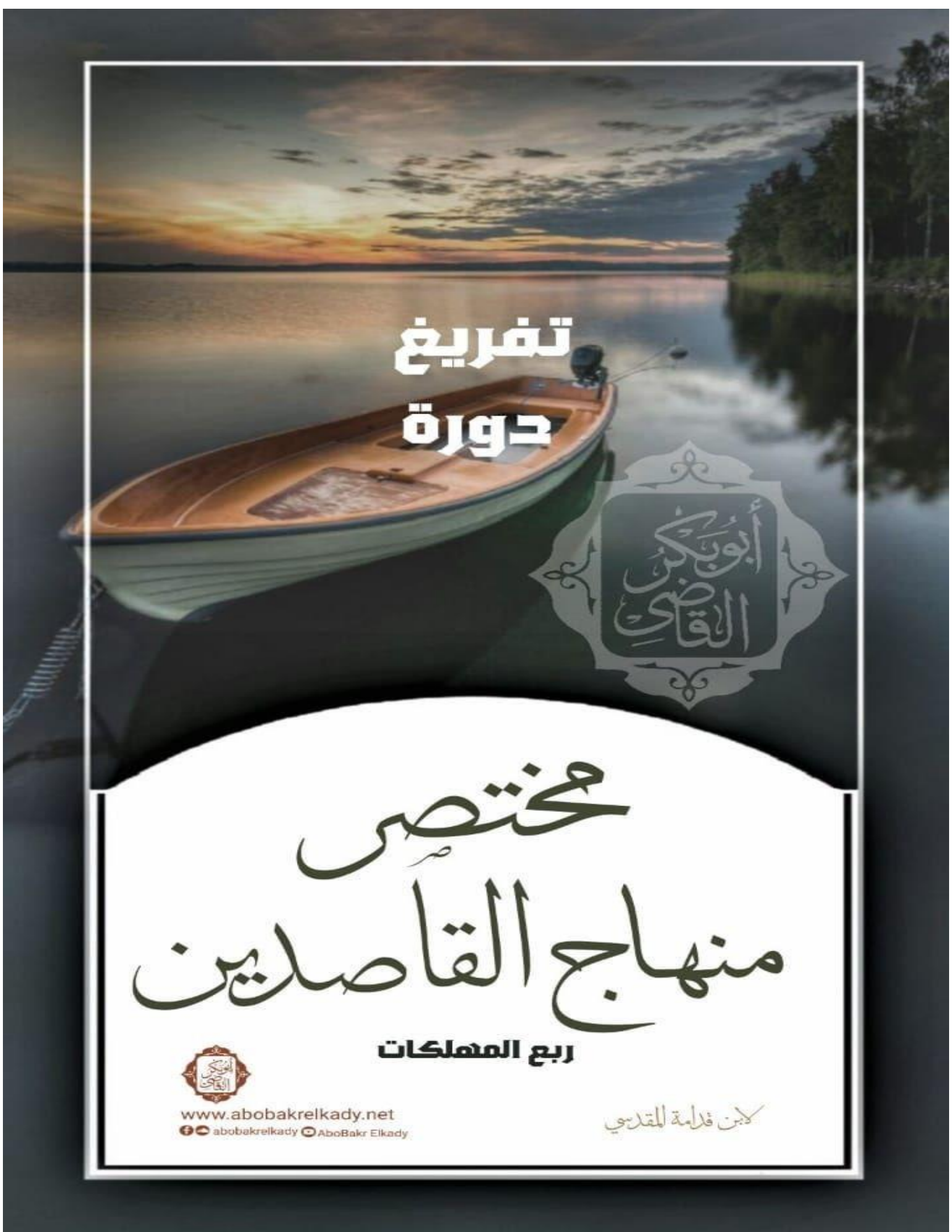

تفريغ
دورة

أبو بكر القاضي

مختصر
منهاج القاصدين

ربع المهلكات

لابن قدامة المقدسي

www.abobakrelkady.net
abobakrelkady AboBakr Elkady

وكان أبوه مش صاحبهم وخلاص بقى.

قال تعالى: { كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ } [المدثر:38]

قال تعالى: {وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ * وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ} [النجم:39:40]

خلاص مع نفسك بقى، يرجع أهله، وماله، ويبقى عمله.

قال ابن قدامة -رحمه الله- في كتاب ربع المهلكات، والمختصر منهاج القاصدين، كتاب شرح عجائب القلوب قال: "اعلم أن أشرف ما في الإنسان قلبه؛ فإنه العالم بالله، العامل له، الساعي إليه، المقرب المكاشف بما عنده؛ وإنما الجوارح أتباع وخدم له يستخدمها القلب استخدام الملوك للعبيد".

القلب هو العالم بالله، لما أتعلم بيتعلم في قلبي، لما أتقي التقوى محلها فين؟ القلب.

لما أخشى الخشية محلها ايه؟ القلب.

حب الله، الخوف من الله، رجاء الله: كل هذه وظائف القلب.

أمال الجوارح بتعمل ايه؟!

هي مظاهر للروح الطيبة أو الروح الخبيثة، القلب السليم أو القلب السقيم "ميت".

يعني العري، والعهر، والكفر، والزنا: كل هذه مظاهر لموت القلوب، ناس قلوبها ميتة، وتعفنت

وريحتها العفنة خرجت على شاشات التلفاز: عري وزنا، ودعارة، وكفر، وإلحاد، ونشر للكفر.

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "ألا وإنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً، إذا صَلَحَتْ، صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وإذا فَسَدَتْ، فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، ألا وهي القَلْبُ".

- الجسد هنا المقصود به ماذا؟

الجواب: العمل الظاهر.

الجسد هنا ليس المقصود به الجسد؛ ولكن مقصود به الأعمال التي يباشرها الجسد.

العامل له: القلب هو اللي بيعمل هو اللي بيعلم وهو اللي بيعمل.

الساعي إليه: الساعي إلى الله.

المقرب المكاشف بما عنده: القلب هذا هو الذي يقربه الله عز وجل، ويكاشفه بالغيب.

القلب هو الذي يوقن بالجنة كأنها رأي عين، والنار كأنها رأي عين ،القلب الذي يرى.

- قال تعالى: {فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ} [الحج:46]

- وإنما الجوارح أتباع .

إذن المشكلة مش في الجوارح، المشكلة مش في الجسد؛ ولكن المشكلة أن القلب يا إما سقيم وميت، يا إما سليم .

- "يستخدمها القلب استخدام الملوك للعبيد".

ولذلك قال أبو هريرة -رضي الله عنه:- "القلب ملك والأعضاء جنوده. فإذا طاب الملك؛ طابت الجنود، وإذا خبث الملك خبثت الجنود".

يقول: "ومن عرف قلبه؛ عرف ربه، وأكثر الجاهلون بقلوبهم ونفوسهم والله يحول بين المرء وقلبه.

لما أي حد ييجي يسألك الآن كيف حال قلبك مع الله؟

تعرف تجاوب، الكلام هذا بيبان جداً في رمضان، وبيبان جداً في الليالي العشر الأوخر.

يعني ناس كتير تلاقيها جاية تقولك ها كانت ليلة القدر ايه ؟

الليلة الكام؟

تقوله: قلبي كان مرتاح قوي في الليلة الفلانية.

ما هذا ؟!

أنت بقيت تحس بقلبك أهو

بقى عارف حال قلبه أهو

قلبي النهاردة منشرح، قلبي طاير

قلبي حاسس بصفاء، ونقاء عجيب.

بقي بيحس بقلبه ايه اللي حصل؟!

شفافية طهارة من الذنوب، توبة ،كاشفة، يبدأ ياخد باله اوي كيف حال القلب.

لو ليلة تانية يقول لك: بس مش لاقي قلبي فيها ما هذا ؟!

تقوله: أنت بقيت ما شاء الله عليك عندك الإنذار والمنبه عالي قوي ما هو في رمضان بقى، طيب بعد رمضان بقى؟!

تيجي تقوله: كيف حال قلبك؟!

ما اعرفش والله حد يسأل حد السؤال ده !

لا السؤال ده يتسأل كل شوية، كل يوم، كل ليلة، كل ساعة، كل لحظة، كل صلاة ،العاقل

يسأل عن نفسه، يسأل عن قلبه " من عرف قلبه عرف ربه"

لو عرف الآن أن قلبه سقيم يعمل ايه ؟

يستغفر ، يتوب، يدعو، يبتهل، يتضرع .

ولو قلبه منشرح؟

يشكرالله؛ فيزيده الله يأخذ بأسباب الطاعة زيادة.

قلبه ميت؛ يعطيه صدمات كهربائية ،يروح بقى المقابر، يشوف المحتضرين، يشوف المرضى

صدمات كهربائية تقومه.

قال: "أكثر الناس جاهلون بقلوبهم ونفوسهم".

قال تعالى: { وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ } [الأنفال:24]

وحيلولته: أن يمنع معرفته ومراقبته؛ فمعرفة القلب وصفاته أصل الدين، وأساس طريق

السالكين.

قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ

يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال:٢٤]

يعني ايه يحول بين المرء وقلبه؟

يعني أدق حاجة عن الإنسان زي ما قلنا هو روحه ، وهي أكتر حاجة الإنسان عاجز عن تغييرها إلا بالاستعانة بالله.

{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} [سورة الإسراء: 85]

شوف مع تقدم الطب، وفي الآخر يقولك في مرحلة في الطب الحرج يقول لك: والله الأمر بيد الله.

أمراض الجسد شئ، وأمراض النفوس" مرض الطب النفسي" شئ تاني خالص لا يوجد سيطرة عليه أصلاً ، ولغاية الآن مش عارفين حتى يشخصوا النفس البشرية دي عبارة عن ايه؟!

طب ايه حقيقة الفصام؟ حقيقة الاكتئاب؟ حقيقة البارانويا؟ حقيقة الشيزوفرينيا؟

حقيقة هذه الأمراض وعلاجها القاطع؟

مفيش حاجة اسمها علاجها القاطع، وأي حد هيروح عند أي طبيب نفسي إلى حد كبير بيجرب لغاية ما بيوصل لحاجة تخليه بس يغير ال mood أمر شاق جداً، التعامل مع النفوس، والأرواح أمر صعب، لماذا ؟

لأن الروح من أمر الله- تبارك وتعالى- ليست من أمر البشر ، ولذلك الله يحول بين المرء وقلبه.

كيف يسعد هذا القلب؟! كيف تسعد هذه الروح؟! كيف تطمئن؟!

كلمة واحدة تلخص الطب النفسي كله، وهم معترفون بعجزهم.

قال تعالى: { الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} [الرعد: 28]

الصحة النفسية في كلمة "تطمئن " هذه، محدش عارف يفسر الطب النفسي إلا من هذا المدلول فقط.

إن في حاجة إلى حاجة ربانية اتصال بالله تبارك وتعالى.

فالله- تبارك وتعالى- هو الذي يرد على الإنسان قلبه ويجعله قلباً سليماً ،يحول بينه وبين الكفر، يثبتهم و يطهرها ،يوفقه، يهديه.

قال تعالى: { وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥ } [التغابن:11]

يهديه، يوفقه للذكر، للطاعة.

{ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ }

يعني ايه؟

يعني القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن كما قال- صلي الله عليه وسلم-: "القلب الذي يشاء أن يقيمه أقامه، والقلب الذي يشاء ان يزيغه أزاغه"

تبقى تبدأ تفهم بقى يعني ايه {ربنا لا تزغ قلوبنا...}

تبدأ تفهم يعني ايه "يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلبي على دينك"

تبدأ تفهم يعني ايه "أعوذ بعزتك أن تضلني أنت الحي الذي لا يموت والجن والإنس يموتون"

تبدأ تفهم يعني ايه "أن يهدي الله قلبك؛ فمعرفة القلب وصفاته أصل الدين وأساس طريق السالكين "

قال ابن قدامة- رحمه الله -: "اعلم أن القلب بأصل فطرته قابل للهدى."

احنا قلنا الفطرة، والعهد، والميثاق؛ كل قلب قابل للهدي، كل قلب فيه لمتان كما قال- صلى الله عليه وسلم-: "ما من قلب إلا وفيه لمتان، لمة الملك، ولمة الشيطان؛ فلمة الملك ايعاد بالخير، وتصديق بالوعد، ولمة الشيطان ايعاد بالشر وتكذيب بالوعد".

يبقى كل نفس فيها ايه؟

فجور، وتقوى.

قال تعالى: { وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا } [الشمس: 7:8]

كل النفس على فكرة فيها فجور كامل ،وفيها تقوى كاملة.

الإشكالية في ايه بقى؟

الإشكالية فيك أنت، أنت بتنمي ماذا ؟ صوت الهدى أم صوت الضلال؟!

عشان كده" قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا "

محتاجة شغل ،محتاج تفحت الأرض عشان تطلع خير من النفس ،محتاج تحط بذور، اتعلم، محتاج تحط أسمدة أعمال صالحة، تزرع عشان تحصد.

" وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا "

التدسية أن يدس نفسه، أن يصاغرها، وأن يحقرها بالمعاصي، والتزكية: أي يُنيمها ،الزكاة يعني النماء، وأن يعظمها بالطاعات.

عشان كده أصحاب الطاعات يا جماعة، وأصحاب القلوب المؤمنة، والأعمال الصالحة أصحاب نفوس كبيرة لا يقفون مع سفاسف الأمور الدنيا، والأحقاد والشهوات، والشبهات يتغلبوا عليها؛ لكن أصحاب النفوس المتدنية الصغيرة الحقيرة تجده هيموت على الدنيا هايف جداً، جعان جدا ،مش عايز يفوت أي حاجة، أي حاجة يريل عليها، أي حاجة بيشفط فيها تافه أوي.

لماذا ؟

النفس حقيرة، خسيسة، وتجد ندل جداً، وتجد فيه كل الأخلاق الرديئة، لماذا ؟

للشح ، والطمع، و الجشع لحقارة النفس؛ لأنه انساق مع شهوات النفس، انساق مع لمة الشيطان.

قال: اعلم أن القلب بأصل فطرته قابل للهدي وبما وضع فيه من الشهوة، والهوى مائل عن ذلك، والتضارب فيه تطارد يعني" النزاع" بين جندي الملائكة والشياطين دائما ،فيه نزاع جوة القلب بين الشياطين، والملائكة إلي أن ينفتح القلب لأحدهما.

الفتح يعني "العسكري" يا إما يكون للشيطان، أو للملك؛ فيتمكن ويستوطن ،في قلوب بتعشش فيها الملائكة.

{إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ}[فصلت: 30]

{نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ..}

الولي: هو الحبيب والرفيق

الملائكة طول حياته كانت معه، كان بيصطف في الصف الأول كما تصطف الملائكة عند ربها ،

✔ كان بيقول آمين؛ فتؤمن الملائكة على تأمينه ،

✔ سمع الله لمن حمده فتؤمن عليه ،

✔ الملائكة على طول بتبحث عن مجالس الذكر بتلاقيه فيها فتحيطه ،

✔ الملائكة بتحيط به حين يقوم الليل، الملائكة بتحميه له معقبات بين يديه ومن خلفه يحفظونه بأمر الله

✔ الملائكة عرفاه عند الله- عز وجل- بتسبيحه وتهليله، وتكبيره ،وتحميده.

✔ الملائكة معه له ملك يرد عليه السلام؛ إنما القى السلام على الناس فلم يرد عليه أحد الملك يرد عليه السلام.

✔ إن أساء إليه أحد فقاله سداداً من القول وصواباً فرد السيئة بالإحسان؛ فيرد له الملك أنت أولى بالسلام وأنت أحق به.

✔ له ملائكة يوقظونه لصلاة الفجر وصلاة الليل.

✔ يوكل الله له ملكاً يحرسه عند نومه؛ لأنه قرأ آية الكرسي.

حياته متعشش فيها الملايكة كده.

في ناس تانية

{ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ}[الأعراف: 30]

قال تعالى: {...ﷺوَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا} [الفرقان: 29]

قال تعالى: {أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ} [يس: ٦٠].

شياطين في حياته..شياطين محتوشاه !

قال تعالى: {وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ} [سورة سبأ: 20]

ففيه التطارد بين جندي الملائكة والشياطين دائم داخل قلب إلى أن ينفتح القلب لأحدهما؛

فيتمكن ويستوطن

ويكون اختيار الثاني اختلاساً كما قال تعالى:

{مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ} [سورة الناس:٤]

يعني لو انفتح القلب للمَلك الإنسان بقى صالح ،الشيطان يأتيه في فترات استثنائية وسوسة كده؛ فيدفعها بالاستعاذة، طب لو تمكن الشيطان من القلب؟

الملك اللي يأتيه اختلاساً كده في مرة واحدة كده كل فين وفين أما يعمل حاجة خي، مش عارف يقول لك جا لي صوت كده اعمل خير تأتيه كده فترات استثنائية؛ فيبقى الخير هو الاختلاس.

قال: وهو الذي إذا ذكر الله خنس أي: الشيطان

وإذا وقعت الغفلة انبسط ،ولا يطرد جند الشياطين من القلب إلا ذكر الله تعالى؛ فإنه لا قرار له مع الذكر.

يعني لايطرد الشياطين من القلب إلا ذكر الله.

واعلم أن مثل القلب كمثل حصن، والشيطان عدو يريد أن يدخل الحصن، ويملكه، ويستولي عليه، ولا يمكن حفظ الحصن إلا بحراسة أبوابه، ولا يقدر على حراسة أبوابه من لا يعرفها ، ولا يتوصل إلي دفع الشيطان إلا بمعرفة مداخله ،ومداخل الشيطان وأبوابه صفات العبد وهي كثيرة.

يبقى القلب عامل زي القلعة، والقلعة عليها أبواب وشبابيك، طب انا عشان أحمى الشبابيك، والأبواب

الأول أعرف الشبابيك، والأبواب، وأبدأ أحط عند كل شباك، وعند كل باب "حرس " ده اللي بيدخل منه الشيطان ايه بقى؟

الشبابيك والأبواب دي يقول لك صفات العبد، طباعه اهوائه، نزواته، شهواته.

عشان كده احنا مسألة" من عرف قلبه عرف ربه "

وفي المقولة الثانية " من عرف نفسه عرف ربه "

اللي يعرف كويس قوي نقاط قوته، وضعفه، يعرف كويس أوي يشتغل على نفسه، يعرف كويس قوي كيف يسلك الطريق إلى الله، ويسوق نفسه إلى الله، يقفل عليها مسالك الشر، ويفتح لها مسالك الخير.

دي مش وظيفة الشيخ! ولا وظيفة صاحبك!

دي وظيفة حضرتك، أنت اللي بتشتغل على نفسك، أنت اللي تزكيها ، دي وظيفتك أنت، دي مسئوليتك الشخصية، محدش هيموت معك ولا هيتدفن معاك في الآخر تأتي يوم القيامة فردا، فهذه مسئولية شخصية.

قال: فمن أبوابه الحسد، الحرص؛ فمتى كان العبد حريصاً على شيء أعماه حرصه، وأصمه، وغطى نور بصيرته التي تعرف مداخل الشيطان، كذلك إذا كان حسوداً؛ فيجد الشيطان

حينئذ الفرصة؛ فيحسن عند الحريص كل ما يوصله إلى شهوته وإن كان منكراً، او فاحشة.

ومن أبوابه العظيمة الغضب، والشهوة، والحدة،

فإن الغضب غول العقل يعني ايه غول العقل؟

يعني بياخد العقل لمس أكتاف مبقاش شايف ،وإذا ضعف جند العقل هجم حينئذ الشيطان؛ فلعب بالإنسان كالكرة قد يجعله يكفر.

قد روي أن ابليس يقول: إذا كان العبد حديدا يعني شديد الغضب يعني من الحدة قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة.

ومن أبوابه حب التزيين في المنزل والثياب والأثاث .

فلا يزال يدعو إلى عمارة الدار، وتزيين سقوفها وحيطانها، والتزين بالثياب، والأثاث؛ فيخسر الإنسان طول عمره في ذلك، ضيع وقته في التراب.

ومن أبوابه الشبع؛ فإنه يقوي الشهوة ،ويثقل عن الطاعة، ومنها الطمع في الناس، العشم الزيادة...

فإن من طمع في شخص بالغ بالثناء عليه بما ليس فيه، وداهنه ولم يأمره بالمعروف، ولم ينهاه عن المنكر.

ومن أبوابه العجلة، وترك التثبت وقد قال النبي -صلى الله عليه وسلم- العجلة من الشيطان، والتأني من الله تعالى.

ومن أبوابه حب المال، ومتى تمكن من القلب أفسده وحمله على الطلب للمال من غير وجهه، وأخرجه إلى البخل وخوفه الفقر؛ فمنع الحقوق اللازمة لواجباته.

ومن أبوابه حمل العوام على التعصب في المذاهب يبقى أي حد متعصب يبقى عوام ،يعني ايه عوام ؟ من العمى.

مش ممكن تلاقي طالب علم متعصب، ما يبقاش طالب علم، ما يبقاش عالم جاهل دون العمل بمقتضاها.

ومن أبوابه أيضاً حمل العوام على التفكير في ذات الله وصفاته.

اللي هو التفكير في كيفيتها ،اللي هي الغيب، وفيه أمور لا تبلغها عقولهم حتى يشككهم في أصل الدين.

تلاقيه يقول لنفسه طب ازاي؟! يعني كيف استوى على العرش؟! يعني كيف ينزل الى السماء الدنيا يعني؟!

طب ازاي والليل مختلف في أمريكا عن الليل في الشرق مثلا؟!

طب ويعني كل حتة فيها ليل في وقت تاني فيه نهار، وهيفضل بقى ينزل في كل حتة يتكلم كأنه أدخل الذات الإلهية المشرحة وبيشرحها؛ كل هذا من الجهل.

قال تعالى: { وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمًا } [طه:110]

قال تعالى: { لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ } [الشورى:11]

شوف كل ده أمراض للقلب، وأمراض للتصور والعقائد، والسلوكيات.

ومن أبوابه سوء الظن بالمسلمين؛ فإن من حكم على مسلم بسوء ظنه احتقره، وأطلق فيه لسانه، ورأى نفسه خيرا منه؛ وإنما يترشح سوء الظن بخبث الظن؛ لأن المؤمن يطلب المعاذير للمؤمن ،والمنافق يبحث عن سوء الظن، وهذا راجع لسوء الطوية سوء السريرة؛ لان اللي عايز يشوف الخير؛ هيشوفه واللي عايز يشوف الشر؛ هتلاقيه يتتبع العورات حتى يقع عليها مثل الذباب اللي بيقع على الأنجاس.

قال وينبغي للإنسان أن يحترز عن مواقف التهم لئلا يساء ظنا به.

فهذا طرف من ذكر مداخل الشيطان وعلاج هذه الآفات سد المداخل ابدأ أسدها بتطهير القلب من الصفات المذمومة

وسيأتي الكلام على هذه الصفات إن شاء الله تعالى.